هو الاتصال . وإذا كانت هذه العبارة يسيرة فإنها مفيدة لأنها خليقة بأن تهدينا إلى الفروق بين الإضفاء والكشف . وإنها لمرانة ذكية مقتدرة أن نفطن إلى تسرب حركة عقولنا حين نقرأ ، وأن نفطن إلى ما نبذل من عناء فى سبيل مقاومتها حتى يتيسر لنا الإصغاء ، ونوقن أننا أمام إنسان مختلف له حق الوجود ، وحق الخلاف . ولاشك أن الاتصال ينطوى على الشعور بالمغايرة ، وأن الإطار المشترك مصنوع من وفاق وخلاف . وخليق بنا أن نرتاب إذا رجحت كفة الاتفاق بأكثر مما ينبغى حتى ينطمس معلم التباين والتمايز .

القراءة المتعاطفة تسمح بإبراز معالم الخلاف . ولا خير فى قراءة تخيل إلينا أننا نواجه ما نعرف ، وأننا قد وجدنا أفكارا ومشاعر كامنة فى عقولنا ، أتيح لها أن تظفر بالتعبير والإخراج . ولنفرض أننا أمام صورة فتاة حزينة على قبر صديق فقيد ، لن يكفى لمواجهتها أن تقول إن الصورة تبعث الجو الخاشع أو تعطش الأرواح المنسية إلى نفوس أحبابها . كل عام يتخصص فى هذه الحياة .

إن مخاطر القراءة كثيرة ، ولا يكفى أن نلح على التعاطف مجردا ، فالتعاطف أنماط بعضها فوق بعض . وكثير من الأنماط يستحق التعقيب . ذلك أن الإنسان تصنعه أعراف وتقاليد واستجابات مخزونة جماعية ، قل أن يخلص من آثارها . هذه الاستجابات تعوقنا عن الفهم والتقدير . والفن أوضح ما يكون فى الزراية الغامضة وغير الغامضة بالمألوف والمعتاد ، وما نسميه أحيانا باسم بداهات النفوس .

وقد درج كثير من القراء على أن يتصوروا حقائق النفوس قوالب محفوظة تعرف ، ما خالفها أنكروه . وبعبارة أخرى إن الطرق المألوفة فى اكتساب التجارب والتعليم لا تذكى فى عقولنا أن كل شىء نسبى ، وأننا لانعرف شيئا قط إلا بالنسبة إلى غيره . هذه حقيقة علمية وحقيقة شعرية أو خيالية . ولكننا غالبا لا نفيد مما نعلمه أو لا نذكره . وقد امتلأ ديوان النقد العربى القديم بتخطئة الشعراء فى معانيهم ، لأن النقاد يتصورون الخطأ المزعوم تصورا خاطئا إن صح هذا التعبير ، وأنهم لا يتساءلون عن حدود كل خاطرة ، بل يسارعون إلى تصور غريب يسمونه باسم الفطرة أو يرونه فهما مشتركا عاما لا يجوز الريب فيه .